بسم الله ..

** الوعي السياسي (؟!) ..

بادئ ذي بدء : أحب التنبيه على أن القصد من هذه المقالة المختصرة توجيه (النخبة)؟! إلى الوعي السياسي المنضبط وضرورة تصحيح ذلك - تصورا وفهما و حدا ومقدارا - على طريقة المتشرعة من العلماء والفقهاء قديما وحديثا ..، بعيدا عن التحولات والتوهمات ..فأقول وبالله التوفيق ومنه العون على التحقيق :

كثر الكلام في هذا الحين وقبله هنا، وهناك، وهنالك، عما اصطلح عليه ب (الوعي السياسي)؟! ..وتداوله الناس حسب تصورات مختلفة معينة (؟!) ..، ومفاهيم متنوعة محددة (؟!) ..مما يستدعي - لنُوفق فيه - ضبط حقيقته وفق مرجعية شرعية ..لأنه " إذا شاع اللفظ تشعبت معانيه حسب معقول مستعمليه "! ..، خاصة في ميدان السياسة المعاصرة ...، ولذا قال أحد الحكماء : " من ضروريات فن سياسة الدول والأمم معرفة طائفة من الألفاظ المؤثرة لأن فعلها أشد من فعل الأدلة العقلية غالبا " ..

وحتى لا يصير مصطلح " الوعي السياسي " من المصطلحات التي

تُرَوج من خلالها فهوم ومناهج وطرائق باطلة في الباب الذي نحن بصدده ..لا بد من السير - لإحكام ماهيته وفق المرجعية المذكورة - على منهجية علمية أثرية (؟!) ..، فالوعي السياسي ما هو إلا (طرف من فقه الواقع السياسي)؟! ..ولذا عُرف الوعي السياسي بأنه : " الإدراك لمجريات الواقع السياسي ، والمعرفة بأحداثه وتطوراته "! ..، فهذا الوعي - إذن - هو ضمن مرتبة من جملة ما يعرف ب (فقه الواقع) .. قال عنها الإمام ابن القيم - رحمه الله - مقعدا لجنسها: " ...فهم الواقع ، والفقه فيه ، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات ؛ حتى يحيط به علما " الإعلام 1/ 87.

وعليه ؛ فهذا الوعي السياسي لا يُضبط شأنه وفق الشريعة إلا إذا كان على مسلك المتشرعة من العلماء الربانيين لا المثقفين والمفكرين وأنصاف المتعلمين (!!) ..، " فلا مساواة بين العالم وغيره في كل عمل فيه أثر بين لتفاوت الإدراك " كما قال العلامة ابن عاشور - رحمه الله - في مقاصد الشريعة الإسلامية ص: 98.

ف (فهم الواقع = الوعي السياسي) - عند أهل العلم لا يتعلق ب " أفراد من الواقع "!! ..، بحيث ينتقلون من فرد إلى فرد بناء على (الأحداث الموسمية)!! ..، وإنما هو منهج بميزان ناظم لهذه الأفراد التابعة ل " كليات شرعية جُملية " من خلال التتبع للنصوص الشرعية ، والتفهم للمقاصد المرعية ، ودراية السيرة النبوية مع مراعاة :

- تصور الواقعة تصورا علميا شرعيا .. (!) ..، ف " الحكم على

الشيء فرع عن تصوره " كما هو مقرر.. ، و " فساد التصور يلزم منه فساد التصوير " كما قال البشير الإبراهيمي - رحمه الله - في آثاره 220/4.

- وضرورة النظرة المآلية..، ف " النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا " الموافقات 194/4.

- والاستفادة من الوقائع التاريخية عامة كانت أو خاصة (!) ..، ف " ما أكثر العبر، وما أقل الاعتبار "!! ..

ويعجبني عند هذا الحرف من الكلام ما قاله الشيخ الدكتور حسين آل الشيخ - حفظه الله - في صفحته على (التويتر) :" يحتاج رجال السياسة في العالم الإسلامي إلى الاستفادة من سنن التاريخ فهي مناهج واقعية لمعرفة الخلاص من الأزمات (فاعتبروا يا أولي الأبصار) ".

- ومراجعة أهل التخصص عند الحاجة لذلك (!) ..، ف " مما يعين على الوعي السياسي لواقع ما: الرجوع والتثبت والاستزادة من أصحاب التخصص والمعرفة الخاصة بالموضوع المتكلم عنه".

كل ذلك بمبعدة عن النظرة السطحية .. خاصة في ظل السياسة العصرية التي يجب أن نستصحب معها الفرق بين (ظاهر السياسة)! و (باطن السياسة = الكواليس أو " المطبخ السياسي ")! ..مما يستوجب :

- التأمل و الحذر من الانخداع بالظاهر ..
- والتأني وعدم الاستعجال في التحليل ..

فيجب التفريق بين (فهم الواقع السياسي) ومجرد معرفة ما وقع ..برؤية صائبة ، ونظرة ثاقبة ، تضبط لك هذا الواقع : (علما)! . ، و (فهما)! ..، و (حدا)! ..، و (مقدارا)! ..، و (احتمالا)! ..فإن الحق في هذا المقام يدرك بالنمط الوسط بلا وكس ولا شطط ..

فالواقع السياسي - كأي واقع (!) - يشتمل على المعلوم والمظنون والموهوم ..بخلاف قضايا الوحي فكلها حق ..، وهذا يُلزمنا شرعا أن نسير في هذا الباب وغيره على طريقة العلماء لابتنائها على العلم الموروث عن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ..

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : " فإذا حكم العلم انقطع النزاع ووجب الاتباع ، وهو الحاكم على الممالك و(السياسات) والأموال والأقلام ، فملك لا يتأيد بعلم لا يقوم ، وسيف بلا علم مخراق لاعب ، وقلم بلا علم حركة عابث ، والعلم مسلط حاكم على ذلك كله ، ولا يحكم شيء من ذلك على العلم " مفتاح دار السعادة 1/ 296-279.

وعليه؛ فمن الخلل الذي يُتوهم أنه وعي سياسي عند الكثيرين:تحكيم الرؤية في الحوادث على النظر الشرعي ..والواجب : تحكيم النظر الشرعي على الحوادث ...، فلا تغفل - يا رعاك الله - على الفرق بين ما هو حاكم وما هو محكوم عليه (!!) ..لكي تسلم من الخلط الذي نراه في

واقعنا المعاصر ..من أناس ظنوا أنفسهم قد ركبوا جواد الوعي والفهم وتحكموا في لجامه !! ..وما هو - حقيقة - إلا (العامية)! و (التعلق بأوهام الطفولة)!..في باب السياسة لمن أنصف ..

وعموما فليس الوعي بالواقع السياسي باللهث وراء قصاصات الأنباء ، أو السمر أمام مختلف الفضائيات ، أو بتتبع الأخبار في الجرائد والمجلات والمواقع والمنتديات ..ف " الاستغراق في تتبع الأخبار محرقة للأعمار " ..

فهذا الحال أصبح معه مفهوم " الوعي السياسي " عند كثير من الناس مفهوما منفلتا من كل ضابط وقيد لا يحتاج إلى تحصيل علم بقواعد شرعية يتأسس عليها النظر فيه وينبني عليها استحصال ما جَد من مسائله ..

فالوعي السياسي - إذن - وفق النظر الشرعي لا يتحقق بمقدار معرفة مفردات مسائله (!!) .. ، وأفراد واقعه (!!) ..، وإلا لصار الفروعي (فقيها)!! ...، وإنما يتحصل ذلك ب (الملكة والتهيؤ) على غرار ميزان (فهم) القضايا والأمور والمسائل في الشريعة .. فتأمل وبالعلم تجمل .

وليعلم ختاما أن (التحليل السياسي) عملية متممة للوعي السياسي ...وهو بدوره ينبغي أن يكون منطلقه لضبطه ضبطا صحيحا : (رياض الشريعة) ؟! ...وأكتفي في خصوصه بنقل متين عن الوزير الشيخ العلامة صالح آل الشيخ حيث قال - حفظه الله - : " فقه الناس للأمور

السياسية أصبح تابعا للتحليلات (؟!) : تحليلات الأعداء لها، فأصبح إذا حلل الناس في الشرق أو في الغرب حدثا أو حللوا أمرا ما : حلله المسلمون كما حللوا (!!) ، بل تنافس المسلمون في الاطلاع على ما عند الغربيين أو ما عند الشرقيين في تحليل الأحداث ، وأصبح المثقف منهم من يحلل كتحليلهم ، وهذا نوع من البعد عن التحليل الذي يجب أن (تتميز به هذه الأمة)! ، لأن التحليل الصحيح هو الذي يصل إلى معرفة الأمور عن طريق (معرفة أهدافها)؟! ، ومعرفة الأهداف هذا إنما يكون ب (الرجوع إلى أصولنا وهو ما جاء في الكتاب وفي السنة من بيان الأعداء وما يريده أعداؤنا بنا)!! ، لأن الله - عز وجل - هو الأعلم بأعدائنا ، (والله أعلم بأعدائكم) ، فإذا نظرنا إلى الأمور المختلفة نظرة أعدائنا لها ، فحللنا الوقائع السياسية وحللنا ما يجري في أي بلد على وفق ما يحلل ذلك الحدث أهله ، فإننا نكون دائما تابعين (!!) ، والتابع لا يمكن أن يتقدم ، بل التابع دائما يكون تابعا ولا يمكن أن يتميز ، وإذا لم نتميز فمعنى ذلك أن نرجع تابعين لأعدائنا ، أن نرجع نستقي أمورنا من عند أعدائنا ، وهذا (مخالف) لما أوجبه الله علينا من اتخاذ الأعداء أعداء وعدم موالاتهم ، نعم قد نستفيد من العدو لكن استفادة من العدو في ميزاننا ، واستفادة من العدو بحسبها ، وأما (الانسياق)! وراء أعداء الأمة في كل ما يقولون في تحليلاتهم وآرائهم ، بل ونتبارى ، والمثقف الذي يفهم هو أعظم الناس إدراكا لما يقوله أولئك (!!) ، فإن هذا نوع من (الضعف) في هذه الأمة ، والأمة لا بد أن تكون قائدة وليست تابعة " إنتهى من محاضرة : (دور المسلمين في النهوض بالأمة).

والله المستعان..

كتبه :
أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني - عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي -

ونصح بنشره :
شيخنا فتحي بن عبد الله الموصلي - حفظه الله -